إياك والأمانيّ..*

الحسن البصري

قيل: أحضر النضر بن عمرو – وكان واليا على البصرة – الحسن يوما فقال: يا أبا سعيد، إن الله عز وجل خلق الدنيا وما فيها من رياشها وبهجتها وزينتها لعباده. وقال عز وجل: ﴿ ... وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ (الأعراف). وقال عز من قائل: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ... ﴿٣٢﴾ (الأعراف). فقال الحسن: أيها الرجل! اتق الله في نفسك، وإياك والأماني التي ترجّحت فيها فتهلك، إن أحدا لم يعط خيرا من خير الدنيا ولا من خير الآخرة بأمنيته، وإنما هي داران، من عمل في هذه أدرك تلك، ونال في هذه ما قدر له منها، ومن أهمل نفسه خسرهما جميعا.

إن الله سبحانه اختار محمدا صلى الله عليه وسلم لنفسه، وبعثه برسالته ورحمته، وجعله رسولا إلى كافة خلقه، وأنزل عليه كتابا مهيمنا، وحد له في الدنيا حدودا، وجعل له فيها أجلا، ثم قال عز وجل: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ... ﴿٢١﴾ (الأحزاب)، وأمرنا أن نأخذ بأمره، ونهتدي بهديه، وأن نسلك طريقته ونعمل بسنته، فما بلغنا إليه فبفضله ورحمته، وما قصرنا عنه فعلينا أن نستعين ونستغفر، فذلك باب مخرجنا، فأما الأماني فلا خير فيها، ولا في أحد من أهلها.

فقال النضر: والله – يا أبا سعيد – إنا على ما فينا لنحب ربنا. فقال الحسن: لقد قال ذلك قوم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله تعالى عليه: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ... ﴿٣١﴾ (آل عمران)، فجعل سبحانه اتباعه صلى الله عليه وسلم علما للمحبة، وأكذب من خالف ذلك. فاتق الله -يا أيها الرجل- في نفسك. وأيم الله! لقد رأيت أقواما كانوا قبلك في مكانك يعلون المنابر. وتهتز لهم المراكب، ويجرون الذيول بطرا ورياء الناس، يبنون المدن، ويوثرون الأثر، ويتنافسون في الثياب، أخرجوا من سلطانهم، وسلبوا ما جمعوا من دنياهم، وقدموا على ربهم، ونزلوا على أعمالهم، فالويل لهم يوم التغابن! ويا ويحهم يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه، وصاحبته وبنيه، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه!

---

* كتاب الزهد للحسن البصري، ص١٦٣-١٦٤، جمع وتحقيق د. محمد عبدالرحيم محمد، نشر دار الحديث، القاهرة.